

**نقد الاستشراق
عند محمد البهي وعبدالله العروي
دراسة مقارنة**

الباحث: د. تركي بن خالد الظفيري

جامعة الأمير سطاتم بن عبدالعزيز

من ٦٦٥ إلى ٦٩٢



Dr. Turki Khalid Aldhafiry	د. تركي بن خالد الظفيري	الاسم
Assistant Professor	أستاذ مساعد	الدرجة العلمية
Department of Islamic Studies - college of education	قسم الدراسات الإسلامية - كلية التربية	القسم والكلية
Prince Sattam bin Abdul Aziz University	جامعة الأمير سطاتم بن عبدالعزيز	الجامعة
Kharj – Saudi Arabia	المملكة العربية السعودية – الخرج	الدولة والمدينة
٠٠٩٦٦٥٥٤٤٦٣٦٢٥	turkialdafiri@gmail.com	الإيميل والجوال

المستخلص: يُعنى هذا البحث بدراسة الاستشراق عند محمد البهي وعبدالله العروي. ويهدف إلى: معرفة آرائهما في الاستشراق والمقارنة بينهما. منهج البحث: المنهج الاستقرائي والاستنتاجي. ومن أهم نتائج البحث: المنطلق الفكري مؤثر بصورة كبيرة في ناقد الاستشراق، فمحمد البهي منطلقه ديني، وعبدالله العروي من منطلق ماركسي، وهو مؤثر في الروح النقدية للباحث ومن أهم التوصيات: أهمية دراسة الاستشراق بموضوعية، وشمولية لتاريخه، ودوافعه، ووسائله، وأثره.

الكلمات المفتاحية: محمد البهي، عبدالله العروي، الاستشراق.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على من بعث رحمة للعالمين، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

تختلف المدارس في نقد الاستشراق لتنوع مصادرها ومرجعيتها وثقافتها، فهناك من ينتقد الاستشراق من زاوية دينية، وأن هذا المجال أتى لتشويه الحقيقة والطعن في الدين الإسلامي، ومنهم من ناقشه كقوة بيد المستعمر أتى لثبيت أركان واقع سياسي جديد، وآخرون حاولوا الوقوف في الوسط فينتقدون المستشرقين تارة، ويوجهون سهام النقد إلى منتقدي المستشرقين.

وحتى يتبين لنا مناهج نقاد الاستشراق يحسن أن نجمع الأفكار مع بعضها، وناقشها متقاربة؛ حتى نخرج بتصور شامل عنها، وعن منهج أصحابها؛ لذلك اخترت الكتابة عن موقف شخصيتين لهما حجمهما العلمي انتقدا الاستشراق، وهما: الدكتور محمد البهي، والدكتور عبدالله العروي.

أسئلة الدراسة:

تناقش الدراسة الأسئلة التالية:

١. ما موقف محمد البهي من الاستشراق من خلال كتابيه الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي، والمبشرون والمستشرقون في موقفهم من الإسلام؟

٢. ما موقف عبدالله العروي من الاستشراق من خلال كتابيه الأيديولوجيا العربية المعاصرة، والعرب والفكر التاريخي.

أهداف الدراسة:

تهدف هذه الدراسة إلى ما يلي:

١. معرفة رأي ومنهج محمد البهي في نقد الاستشراق من خلال كتابيه الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي، والمبشرون والمستشرقون في موقفهم من الإسلام.

٢. معرفة رأي ومنهج عبدالله العروي في نقد الاستشراق من خلال كتابيه الأيديولوجيا العربية المعاصرة، والعرب والفكر التاريخي.
أهمية الدراسة:

تظهر أهمية الدراسة من خلال ما يلي:

١. أهمية معرفة مناهج الباحثين المسلمين في كتاباتهم عن الاستشراق، والتعرف على مواطن القوة والضعف في نقاشهم للأفكار الاستشراقية، حتى يمكننا الوصول إلى منهج علمي إسلامي يناقش تلك الأفكار.

٢. أهمية المقابلة بين آراء نقاد الاستشراق، للوقوف على أهم التجارب العلمية في هذا الميدان.

٣. ويعتبر الدكتور محمد البهي والدكتور عبدالله العروي من الشخصيات العلمية والفكرية التي لها باع طويل في البحث والتحقيق، ومعرفة آرائهما في الاستشراق له أهميته العلمية.

٤. أهمية إبراز دور الباحثين المسلمين في مناقشة الحركات المعاصرة ومن أبرزها الاستشراق.

منهج البحث : المنهج الاستقرائي والاستنتاجي.

الدراسات السابقة:

لم يقف الباحث على دراسة اهتمت بمنهج وآراء محمد البهي وعبدالله العروي في الاستشراق.

حدود الدراسة:

اختار الباحث أهم كتابين لكل شخصية من شخصيات البحث لتحليل

آرائهما حول الاستشراق من خلالهما، وهذه الكتب هي:

١. كتاب الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي، وكتاب

المبشرون والمستشرقون في موقفهم من الإسلام، للدكتور محمد البهي.

٢. كتاب الأيديولوجيا العربية المعاصرة، وكتاب العرب والفكر التاريخي،
للدكتور عبدالله العروي.

خطة الدراسة:

اشتملت الدراسة على مقدمة ومبحثين وخاتمة.

● المقدمة: اشتملت على أهمية الموضوع، ومشكلة البحث وحدوه،
وأهدافه، ومنهجه، وخطته.

المبحث الأول: الاستشراق عند محمد البهي:
وفيه مطلبان:

المطلب الأول: رأيه في الاستشراق من خلال كتابه الفكر الإسلامي الحديث
وصلته بالاستعمار الغربي.

المطلب الثاني: رأيه في الاستشراق من خلال كتابه المبشرون والمستشرقون في
موقفهم من الإسلام.

المبحث الثاني: الاستشراق عند عبدالله العروي:
وفيه مطلبان:

المطلب الأول: رأيه في الاستشراق من خلال كتابه الأيديولوجيا العربية
المعاصرة.

المطلب الثاني: رأيه في الاستشراق من خلال كتابه العرب والفكر التاريخي.
الخاتمة: وفيها أبرز النتائج والتوصيات.

والله أسأل حسن القصد وصلاح العمل، وأسأله التوفيق والسداد، وأن ينفع
بهذه الدراسة

المبحث الأول: الاستشراق عند محمد البهي:

المطلب الأول: رأيه في الاستشراق من خلال كتابه الفكر الإسلامي الحديث
وصلته بالاستعمار الغربي

يرى محمد البهي - في مقدمة كتابه الفكر الإسلامي الحديث وصلته

بالاستعمار الغربي -

أن الاتصال بين الغرب النصراني بالشرق الإسلامي بدأ بالاعتداء الصليبي المسلح منذ نهاية القرن الحادي عشر إلى آخر القرن الثالث عشر الميلادي، وبعد هذه القرون أصبح للاتصال بين الشرق والغرب يأخذ صوراً مختلفة، فأشار إلى أن أثر الإسلام كان ظاهراً في الإصلاح الديني للكنيسة الغربية على يد مارتن لوتر في النصف الأول من القرن السادس عشر، وفي نهاية هذا القرن - أيضاً - بدأ الاتصال الاقتصادي بين الغرب والشرق، ويرى أن لهذا الاحتكاك المباشر بالعالم الإسلامي جعل الغرب يتلمس مواطن الضعف لينفذ من خلالها^(١).

وبهذا يرى البهي أن بداية الاتصال بين الشرق والغرب بدأ بصراع ثم بتأثير وتأثر ثقافي واقتصادي، وانتهى الأمر إلى تسلط الغرب على العالم الإسلامي سياسياً واقتصادياً وثقافياً، ويرى أن ظاهر الاستشراق ليست إلا وسيلة لتحقيق غاية الغرب في استمرار تسلطه وإضعاف المسلمين فيقول في هذا المعنى: "واستتبع الاتصال الاقتصادي - بعد تقدم صنع السفينة في الغرب - اتصالاً آخر؛ هو نفوذ الغرب المسيحي على التوجيه السياسي للشرق الإسلامي.

وإزداد هذا النفوذ بالتدرج، حتى وصل منذ النصف الثاني من القرن التاسع عشر حتى الربع الأول من القرن العشرين منتهى ما يصل إليه نفوذ قوي على ضعيف. ولم يقف استخدام هذا النفوذ السياسي القوي عند حد الاستغلال الاقتصادي لأجل رفع مستوى الغرب وتقدم صناعته من جانب وإضعاف مستوى الشرق والحرص على تخلفه من جانب آخر، بل استخدم - أيضاً - للتنفيس عن الهزيمة الصليبية في الحروب الماضية، وعن الحقد الصليبي على بقاء بيت المقدس في ظل السيادة الإسلامية! .. وما إن باشر النفوذ الغربي سلطته في رقعة الشرق الإسلامي منذ النصف الثاني من القرن التاسع

(١) الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي، ص ١٥-١٦.

عشر، حتى ابتداء يعمل على تخلف المسلمين، وعلى تنفيذ الحقد الصليبي. وليس له هنا طريق آخر لتحقيق هذه الغاية، سوى تناول "مادة التوجيه" المحلية، وجعلها غير صالحة.. ولم يكن هناك في توجيه الشرق الإسلامي سوى الإسلام، والتراث الإسلامي، فإفساد الإسلام والتراث الإسلام إذن، غرض أول للمستعمر الغربي"^(١). ويوضح البهي أنه بالإضافة إلى الأغراض السياسية والاقتصادية هناك غرض ديني سابق لهما، فدراسة المستشرقين للإسلام "قامت أولاً بوحى من الكنيسة الكاثوليكية خاصة، للانتقاص من تعاليم الإسلام وإهدار قيم تعاليمه، حرصاً على مذهب "الكثلكة" من جانب، وتعويضاً عن الهزائم الصليبية في "تحرير" بيت المقدس من جانب آخر! ثم تبني الاستعمار الغربي هذه الدراسة في الجامعات الغربية نفسها، حتى يقوى القائمون بأمرها على تصديرها إلى الشرق الإسلامي في صورة كتب تؤلف، وترسل إلى طلاب الثقافة، أو في صورة طلاب من الشرق الإسلامي يدعون، أو يعانون على الدراسة هناك، ثم يمنحون من الألقاب العلمية ما يتمكنون بها من الظفر بوظيفة التوجيه في الكليات النظرية بالجامعات الحديثة في الشرق الإسلامي"^(٢)، وفي موطن آخر يؤكد التعاون والشراكة بين التنصير والاستعمار في مجال الاستشراق، فهو يرى أن الدافع الرئيس لنشأة الاستشراق هو الدافع الديني وهو محاولة تنصير المسلمين، فقد "رغب المسيحيون في التبشير بدينهم بين المسلمين، فأقبلوا على الاستشراق ليتسنى لهم تجهيز الدعاة وإرسالهم للعالم الإسلامي، والتقت مصلحة المبشرين مع أهداف الاستعمار فمكّن لهم، واعتمد عليهم في بسط نفوذهم في الشرق، وأقنع المبشرون زعماء الاستعمار بأن "المسيحية" ستكون قاعدة الاستعمار الغربي في الشرق، وبذلك سهل الاستعمار للمبشرين مهمتهم وبسط عليهم حمايته، وزودهم بالمال والسلطان، وهذا هو السبب في أن الاستشراق قام في أول

(١) الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي، ص ١٦-١٧.

(٢) الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي، ص ١٨-١٩.

أمره على أكتاف المبشرين والرهبان ثم اتصل بالاستعمار^(١). ولم يكن البهي وحيداً في ربطه نشأة الاستشراق بنهاية الحروب الصليبية و بإشراف ومتابعة من الكنيسة، بل هناك عدد من الباحثين رأوا هذا الرأي ومن أبرزهم أنور الجندي، وعبدالرحمن حبنكة، ومحمد زقزوق، وغيرهم^(٢).

وإن كان البهي يرى الدافع الديني في نشأة الاستشراق، إلا أنه يرى أن الدافع الاستعماري هو الدافع الذي يقود المستشرقين حالياً، لذلك يؤكد على أنه من أهم صور حماية الاستعمار الغربي في البلاد الإسلامية، وأن عمل الدارسين للإسلام من المستشرقين ينطوي على نزعتين رئيسيتين:

النزعة الأولى: تمكين الاستعمار الغربي في البلاد الإسلامية، وتمهيد النفوس بين سكان هذه البلاد لقبول النفوذ الأوربي والرضاء بولايته.

النزعة الثانية: الروح الصليبية في دراسة الإسلام، تلك النزعة التي لبست ثوب البحث العلمي^(٣).

إن مع تأكيده على الدافع الاستعماري للاستشراق فإنه يرى أن له دوافع أخرى فرعية تتمثل في الدوافع التجارية، والسياسية، والشخصية عند بعض الناس الذين تهيا لهم الفراغ والمال، واتخذوا الاستشراق وسيلة لإشباع رغباتهم الخاصة في السفر، أو في الاطلاع على ثقافات العالم القديم^(٤)، ويوافق الدكتور مصطفى السباعي هذا التنوع لدوافع الاستشراق فقد قسمها إلى خمسة دوافع: الدينية، والاستعمارية، والتجارية، والسياسية، والعلمية، وأشار السباعي إلى أن الدافع الديني أهم هذه الدوافع، فقد بدأ الاستشراق من الرهبان في بداية الأمر، وكان همهم الطعن في الإسلام، وتشويه محاسنه،

(١) الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي، ص ٤٣٠.

(٢) انظر: التبشير والاستشراق والدعوات الهدامة، ص ٧٦، وأجنحة المكر الثلاثة وخوافيها، ص ١٢٩ -

١٣٠، والاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، ص ٦٨-٦٩.

(٣) الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي، محمد البهي، ص ٤٣.

(٤) الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي، محمد البهي، ص ٤٣٠.

وتحريف حقائقه؛ "ليثبتوا جماهيرهم التي تخضع لزعامتهم الدينية أن الإسلام - وقد كان يومئذٍ الخصم الوحيد للمسيحية في نظر الغربيين - دين لا يستحق الانتشار، وأن المسلمين قوم هُمَجَّجٌ لصوص وسفَّاكو دماء، يحثهم دينهم على الملذات الجسدية، وبيعدهم عن كل سمو روحي وخلقِي. ثم اشتدَّت حاجتهم إلى هذا الهجوم في العصر الحاضر بعد أن رأوا الحضارة الحديثة قد زعزعت أسس العقيدة عند الغربيين، وأخذت تشكِّكهم بكل التعاليم التي كانوا يتلقونها عن رجال الدين عندهم فيما مضى، فلم يجدوا خيراً من تشديد الهجوم على الإسلام لصرف أنظار الغربيين عن نقد ما عندهم من عقيدة وكتب مقدسة، وهم يعلمون ما تركته الفتوحات الإسلامية الأولى ثم الحروب الصليبية ثم الفتوحات العثمانية في أوروبا بعد ذلك في نفوس الغربيين من خوف من قوة الإسلام وكرهٍ لأهله، فاستغلُّوا هذا الجو النفسي، وازدادوا نشاطاً في الدراسات الإسلامية"^(١). وأشار البهي إلى تطور آخر في الدراسات الاستشراقية فقد تحولت إلى نشاط أكاديمي يقدم البحوث والكتب العلمية، ويستقطب الطلاب المسلمين لإعادة توجيههم ليعودوا يحملون راية الاستشراق في بلدانهم، فيرى أن الاستشراق نفذ إلى المسلمين، ووجد أعواناً له من أرباب الفكر والقلم والعلم والسياسة في الشعوب الإسلامية، وهو العامل الموجه لما يسميه: الفكر الإسلامي الممالي للاستعمار الغربي^(٢).

ويتحدث عن بعض وسائل المستشرقين في كتاباتهم عن الإسلام، فأشار إلى أن كتب الرحلات التي كتبها الرحالون النصارى المتجولون في الديار الإسلامية، كتبت "بأسلوب تهكمي، وروح قصصية اختراعية، تغذي خيال الشعوب المسيحية الغربية والأمريكية، ولها أثرها السلبي في تصوير الإسلام والمسلمين - وهو أثر قوي - على هذه الشعوب!"^(٣).

(١) الاستشراق والمستشرقون ما لهم وما عليهم، ص ٢٠-٢١.

(٢) الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي، ص ٥٦.

(٣) الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي، ص ٥٦.

ومن وسائل المستشرقين في تحريف الإسلام إسرافهم "في تمجيد التصوف الإسلامي في فترته الأخيرة التي يدعو فيها إلى عقيدة الحلول والفناء في "الحب الإلهي"؛ وذلك لأنهم يرون في مثل هذا الانحدار صرفاً للمسلمين عن "الجهاد في سبيل الله" فالاعتقاد بـ"الحلولية" يسقط التكليف كلها، ومن بينها الجهاد"^(١).

ويرى البهي أن فكريتي "بشرية القرآن، والإسلام دين لا دولة؛ تمثلان اتجاه الاستشراق الغربي ونفوذه في تفكير المجددين في تاريخ الفكر الإسلامي الحديث منذ بداية القرن العشرين، وهما فكرتان ينصب أثرهما السلبي على الإسلام وحده، دون المسيحية أو اليهودية، وهذه هي ظاهرة الاتجاه الاستشراقي في تفكير الغربيين"^(٢). وتحدث عن التفكير الوضعي أو المادي الذي تسرب إلى الشرق في القرن التاسع عشر، وانتهى غلوه هذا التفكير إلى فكرة الشيوعية، وأفاض الحديث في مشكلتين أخذتا طابع الرواج في الفكر الإسلامي الحديث، منذ نهاية الحرب العالمية الثانية، وهما: "المشكلة الأولى" خرافة الميتافيزيقا: وتتضمن خرافة الدين، وإنكار قيمته في التوجيه... وهي وليدة الفكر المادي السابق على ظهور الشيوعية.

والمشكلة الثانية "الدين مخدر": وتتضمن مطاردة الدين وإبعاده عن مجال الإنسان والجماعة، "والدين مخدر" هو شعار الشيوعية أو الماركسية"^(٣).
المطلب الثاني: رأيه في الاستشراق من خلال كتابه المبشرون والمستشرقون في موقفهم من الإسلام:

وفي هذا الكتاب يرى البهي أن تاريخ الاستشراق يرجع في بعض البلدان الأوروبية إلى القرن الثالث عشر الميلادي، وربما كانت هناك محاولات فردية قبل ذلك، غير أن المصادر التي بين أيدينا لا تلقي الضوء الكافي على الموضوع وإن أشارت إلى بعض

(١) الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي، ص ١٧٢.

(٢) الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي، ص ٢٢٨.

(٣) الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي، ص ٢٢٨.

المستشرقين كأفراد، ويكاد المؤرخون يجمعون على أن الاستشراق انتشر في أوروبا بصفة جدية بعد فترة الإصلاح الديني - كما يشهد بذلك التاريخ في هولندا والدانمارك وغيرهما^(١)، ولو لاحظنا أنه في كتابه الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي يرى أن البداية كانت في نهاية القرن الحادي عشر إلى آخر القرن الثالث عشر الميلادي^(٢)، وربما كان الاختلاف هنا في البداية ناتج عن أنه كان أكثر تفصيلاً في كتابه الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي.

ويرى أن الدافع الديني هو الدافع الأساس للاستشراق فالحروب الصليبية كان لها أثر عميق في نفوس الأوربيين لذلك اتجهوا إلى محاربة الإسلام عن طريق وسائل مختلفة ومنها الاستشراق، فمصلحة المنصرين التقت مع أهداف الاستعمار فمكّن لهم، واعتمد عليهم في بسط نفوذه في الشرق. وأقنع المنصرون زعماء الاستعمار بأن النصرانية ستكون قاعدة الاستعمار الغربي في الشرق، وبذلك سهل الاستعمار للمنصرين مهمتهم وبسط عليهم حمايته، وزودهم بالمال والسلطان، وهذا هو السبب في أن الاستشراق قام في أول أمره على أكتاف المنصرين والرهبان ثم اتصل بالاستعمار.^(٣)

وذكر البهي سببين لاتجاه الكنائس النصرانية للإسلام وهما:

السبب الأول: بعد أن جاءت "حركة الإصلاح الديني النصراني فشرع النصارى- بروتستانت وكاثوليك- بحاجات ضاغطة لإعادة النظر في شروح كتبهم الدينية، ولحاولة تفهمها على أساس كتبهم الدينية، ولحاولة تفهمها على أساس التطورات الجديدة التي تمخضت عنها حركة الإصلاح، ومن هنا اتجهوا إلى الدراسات العبرانية، وهذه أدت بهم إلى الدراسات العربية، فالإسلامية؛ لأن الأخيرة كانت ضرورية لفهم الأولى، وخاصة ما

(١) المستبشرون والمستشرقون في موقفهم من الإسلام، ص ١١.

(٢) الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي، ص ١٥-١٦.

(٣) المستبشرون والمستشرقون في موقفهم من الإسلام، ص ١١.

كان منها متعلقًا بالجانب اللغوي. وبمرور الزمن اتسع نطاق الدراسات الشرقية حتى شملت أديانًا ولغات وثقافات غير الإسلام وغير العربية"^(١).

السبب الثاني: رغب المسيحيون في التبشير بدينهم بين المسلمين فأقبلوا على الاستشراق ليتسنى لهم تجهيز الدعاة وإرسالهم للعالم الإسلامي"^(٢).

ويؤكد على أن هناك دوافع أخرى فرعية لنشأة الاستشراق كالدوافع التجارية، والسياسية، كما ذكر دافعًا قلما يشير إليه وهو الدوافع الشخصية "عند بعض الناس الذين تهيأ لهم الفراغ والمال واتخذوا الاستشراق وسيلة لإشباع رغباتهم الخاصة في السفر أو في الاطلاع على ثقافات العالم القديم، ويبدو أن فريقًا من الناس دخلوا ميدان الاستشراق من باب البحث عن الرزق عندما ضاقت بهم سبل العيش العادية، أو دخلوه هارين عندما قعدت بهم إمكانياتهم الفكرية عن الوصول إلى مستوى العلماء في العلوم الأخرى، أو دخلوه تخلصًا من مسؤولياتهم الدينية المباشرة في مجتمعاتهم المسيحية. أقبل هؤلاء على الاستشراق تبرئة لدمتهم الدينية أمام إخوانهم في الدين، وتغطية لعجزهم الفكري، وأخيرًا بحثًا عن لقمة العيش إذ أن التنافس في هذا المجال أقل منه في غيره من أبواب الرزق"^(٣).

ويرى أن أهداف الاستشراق تركزت -مع تنوعها- في "خلق التخاذل الروحي، وإيجاد الشعور بالنقص في نفوس المسلمين والشرقيين عامة، وحملهم من هذا الطريق على الرضا والخضوع للتوجيهات الغربية"^(٤).

يشير البهي إلى خطر عملاء المستشرقين ويصفهم بأنهم عملاء الاستعمار، وقد دربوا "على إنكار المقومات التاريخية والثقافية والروحية في ماضي هذه الأمة، وعلى التنديد والاستخفاف بها، وهم الذين وجههم كُتَّابُ الاستشراق إلى أن يصوغوا هذا الإنكار

(١) المستبشرون والمستشرقون في موقفهم من الإسلام، ص ١١.

(٢) المستبشرون والمستشرقون في موقفهم من الإسلام، ص ١٢.

(٣) المستبشرون والمستشرقون في موقفهم من الإسلام، ص ١٢.

(٤) المستبشرون والمستشرقون في موقفهم من الإسلام، ص ١٣.

والتنديد والاستخفاف في صورة البحث، وعلى أساس من أسلوب الجدل والنقاش في الكتابة أو الإلقاء عن طريق المحاضرة أو الإذاعة"^(١)

وفي معرض تفريجه بين التنصير والاستشراق فقد ذكر أن "الاستشراق أخذ صورة البحث، وادّعى لبحثه الطابع العلمي الأكاديمي، بينما بقيت دعوة التبشير في حدود مظاهر العقلية العامة وهي العقلية الشعبية.

استخدم الاستشراق: الكتاب والمقال في المجالات العلمية، وكرسي التدريس في الجامعة، والمناقشة في المؤتمرات العلمية العامة.

أما التبشير فقد سلك طريق التعليم المدرسي في دور الحضانة ورياض الأطفال والمراحل الابتدائية والثانوية للذكور والإناث على السواء. كما سلك سبيل العمل الخيري الظاهري في المستشفيات، ودور الضيافة، والملاجئ للكبار، ودور اليتامى واللقطاء، ولم يقتصر التبشير في استخدام النشر والطباعة وعمل الصحافة في الوصول إلى غايته."^(٢)

ويؤكد على أن كلا التنصير والاستشراق "دعامة الاستعمار في مصر والشرق الإسلامي، فكلاهما دعوة إلى توهين القيم الإسلامية، والغض من اللغة العربية الفصحى، وتقطيع أواصر القربى بين الشعوب العربية، وكذا بين الشعوب الإسلامية الحاضرة، والازدراء بها في المجالات الدولية العالمية"^(٣).

(١) المستبشرون والمستشرقون في موقفهم من الإسلام، ص ١.

(٢) المستبشرون والمستشرقون في موقفهم من الإسلام، ص ٢.

(٣) المستبشرون والمستشرقون في موقفهم من الإسلام، ص ١.

المبحث الثاني: الاستشراق عند عبدالله العروي:

المطلب الأول: رأيه في الاستشراق من خلال كتابه الأيديولوجيا العربية المعاصرة: إن المنطلق العام الذي ينطلق منه عبدالله العروي في نقاشه للاستشراق هو النظر للقضية من زاوية المراقب للغرب والشرق، ويحاول أن تكون وجهة نظره محايدة؛ لذلك نجده تارة ينقد الغرب وتارة ينقد العرب، وهذه زاوية في التفكير وإن كانت جادة إلا أنها أوقعت في بعض المغالطات في دراسة موضوع الاستشراق، فيقول معبراً عن هذا الموقف: " عندما يتصل مجتمع ما بآخر، فإن التماس بمعناه المادي البسيط لا يهم في شيء إذ قد يحصل أن أحد المجتمعين المتماسين يرفض بكل بساطة أن يرى الآخر. المهم في مثل هذا الحال هو أن نحدد بالضبط ماذا يستطيع كل مجتمع أن يدرك الآخر"^(١).

أوضح العروي مفهوم الآخر عند العرب وأنه متغير وفقاً لتغير الزمان، فكانوا "لمدة قرون يعنون النصراني، ثم عنوا الإفرنج سكان أوروبا، واليوم يعنون الغرب الذي هو لديهم مفهوم غامض ويّين في نفس الوقت"^(٢)، وفي موضع آخر يستنتج المفهوم الصحيح للغرب -من وجهة نظره- بأن بنية اجتماعية فيقول: "لإدراك تعريف مطابق لواقع الغرب، إذ نظر إليه بالتوالي على أنه دين ثم تنظيم سياسي ثم سيطرة على الطبيعة ثم استغلال وتشويه للإنسان، وأخيراً -في نطاق الدولة القومية- عرّف الغرب بأنه سلوك، يبدو أن هذا التعريف هو الأقرب إلى الحقيقة، مع زيادة في التدقيق والقول أن السلوك تولّد عن تربية، وهذا نتجت عن مجتمع معين، الغرب إذن هو في خلاصة التحليل: بنية اجتماعية"^(٣)، وإذا نظرنا إلى تعريف آخر للغرب يطرحه إدوارد سعيد -وهو أحد المهتمين بالعلاقة بين الغرب والشرق- فيقول: "وعلينا أن نأخذ مأخذ الملاحظة الثاقبة التي أبدّاها "فيكو" والتي تقول إن البشر هم الذين يصنعون تاريخهم وإن ما

(١) الأيديولوجيا العربية المعاصرة، ص ٦١.

(٢) الأيديولوجيا العربية المعاصرة، ص ٣٥.

(٣) الأيديولوجيا العربية المعاصرة، ص ٨٢.

يستطيعون أن يعرفوه محدود بما صنعوه، وأن نطبق هذه الملاحظة على الحقائق الجغرافية، فندرك أن البشر هم الذين صنعوا ويصنعون "اخليات" و "المناطق" والقطاعات الجغرافية من أمثال "الشرق" أو " الغرب" فكل منهما كيان جغرافي ثقافي، ناهيك بكونه كياناً تاريخياً^(١)، وهنا يظهر الفرق بين كون الغرب بنية اجتماعية وبين كونه كيان مستقل له ثقافته وتاريخه، إضافة إلى ذلك التعبير عن الغرب بأنه بنية اجتماعية فحسب هو محاولة لإذابة الاختلافات الجوهرية بين الغرب والشرق، فهناك اختلافات دينية وثقافية وسياسية وجغرافية وتاريخية.

لهذا نرى العروى يقسم إلى الغرب إلى غرب ظاهر، وغرب حالم، فالغرب الظاهر هو حقيقته الواقعة، أما الغرب الحالم فهو آماله وأهدافه، و"يطمح دائماً غرب الظاهر إلى أن يفرض نفسه علينا كوحدة متماسكة متعالية .. لكن غرب الحالم، غرب القيم العليا والآمال العريضة، تلك التي توحى بها علومه وفنونه"^(٢)، وبناء على هذا القسم يلوم العروى العالم العربي على أنه حارب الغرب الظاهر باسم ماضيه الحافل، وباسم العدل والروح، كما لم يصغ إلى نداء الغرب الحالم، ولم يفهم مراده^(٣).
وضع العروى إطاراً عاماً للموقف من الغرب وفقاً لرؤية تيارات أساسية، وهي: الشيخ، والسياسي، والتقني، فيرى أن التيار الأول يفترض " أن أم المشكلات في المجتمع العربي الحديث تتعلق بالعقيدة، والثاني بالتنظيم السياسي، والثالث بالنشاط العلمي والصناعي"^(٤)، ولم يقتصر في حديثه عن مشكلات المجتمع العربي بل تجاوز إلى قراءة الموقف من الغرب وفقاً لمواقف هذه التيارات منه، فالشيخ من وجهة نظره "لا ينفك يرى التناقض بين الشرق والغرب في إطاره التقليدي، أي كنزاع بين النصرانية

(١) الاستشراق، ص ٤٨.

(٢) الأيديولوجيا العربية المعاصرة، ص ٨٣.

(٣) أنظر: الأيديولوجيا العربية المعاصرة، ص ٨٣-٨٤.

(٤) الأيديولوجيا العربية المعاصرة، ص ٣٩.

والإسلام"^(١)، ويميل العروبي إلى أن الغرب يستفز الشيخ باستمرار بالحديث عن الحملات الصليبية وعن الأخذ بالتأثر، وأن أرض الإسلام كانت مسيحية، ويصل إلى قناعة بأنه "لولا هذه الادعاءات الاستفزازية لما فارق الشيخ صمت الأولياء الخاشعين. لكن في هذه الحال تعين عليه أن يجيب، فيتهدى لخوض معركة يائسة، يبحث عن أسباب القوة والفضل، فيعود إلى النص وبالطبع لا يجد سوى الألفاظ"^(٢). وهذا الفهم لا يسلم للعروبي فموقف الشيخ والذي يقصد به الموقف الشرعي من الغرب لم ينشأ بسبب استفزازات بل بدأ منذ بداية النبوة في الموقف من اليهود والنصارى، وبعقد المسلم أن الغرب النصارى لن يرضى عنا حتى نتبع ملتهم، وليس للاستفزاز إلا مضاعفة الجهد في رد الافتراءات عن الإسلام، أما الموقف من حيث الأصل فهو باقٍ كما شرعه الله - تعالى- في كتابه وأوضحه نبيه -صلى الله عليه وسلم- في سنته.

إن نظرة المراقب عند العروبي جعلته يرى أن الغرب "يحترم ويهاب الشيخ، بل يعطف عليه أحياناً إذ يراه يجتهد ليحيي الإيمان في عالم عمّ فيه الكفر والجحود.. في النهاية يتغلب الهاجس القومي فيبقى الشيخ يظهر بمظهر الرجل المغاير العنيد العنيف"^(٣).

يلاحظ رؤية العروبي هذه إظهار التناقض في نظرة الغرب للشرق، وفيه نوع تركية للموقف الغربي إذ لا يوجد في الواقع موقفاً عاماً غريباً من احترام الشيخ وأن انتقاده أتى فقط من جانب قومي، بل إن الرؤية العامة للعالم الشرعي هي الانغلاق والمواقف المتشنجة والتعصب وهذا ما يؤكد الإعلام الغربي في كل أطواره.

وتحت عنوان: التاريخ الوضعي تحدث عن التصورات التي تؤول التاريخ أو تجعل منه صنماً يُعبد، وقال: "إن الغرب - على لسان المستشرقين- يرفض أن يوليها أي اهتمام ويدعو إلى استبدالها بطريقته هو -التي تتقصى الأخبار بصبر وأناة وتحل أغاز الماضي

(١) الأيديولوجيا العربية المعاصرة، ص ٣٩.

(٢) الأيديولوجيا العربية المعاصرة، ص ٤٠.

(٣) الأيديولوجيا العربية المعاصرة، ص ٥٨.

بكثير من التواضع والحيطه- وهي الطريقة التي أرسى قواعدها الغرب الحديث الصناعي أثناء القرن الماضي وتسمى إما نقدية وإما وضعية، إن لم نقل وضعانية. يقول كانتزل سميث: إن علم التاريخ في الثقافة العربية المعاصرة سلاح دفاعي أكثر منه منهج بحث وتقصي الوقائع، وقبله كتب المستشرق الإنجليزي الشهير هاملتن جيب في خاتمة كتابه الاتجاهات الحديثة في الإسلام: لن يتصالح الإسلام مع العصر إلا إذا أعاد النظر في موروثه الفكري في ضوء قواعد المنهج التاريخي. نستخلص -والحديث للعروي- من هذه الأقوال- ومثلها كثير جداً- أن القضية درست من جميع جوانبها وتم الفصل فيها: إن العرب لا يفقهون معنى التاريخ - لا يرجع هؤلاء الدارسون المعروفون برصانتهم وإنصافهم هذه الظاهرة إلى عجز فطري أو إلى طبيعة المعتقد الإسلامي - بل يفسرونه بمجرد التاريخ نفسه. إن العلوم التاريخية لم تتطور وتبلغ سن الرشد إلا في القرن ١٩م، فيتعين إمهال المجتمعات العربية حتى تتدرب على قواعدها الصعبة، هذا تبرير وجيه في ظاهره لولا أنه لا يتناول لب المسألة^(١)، وفي كلامه هذا تركية للمستشرقين وأن منطلق تقدمهم علمي ولم يكن لأي خلفيات دينية، بل أتى هذا النقد لتخلف العرب في العلوم التاريخية ومناهجها! وهذه لغة انهمازية تبريرية، فالناظر في نقد المستشرقين لواقع العرب وانتقاصهم من جنسهم ودينهم وثقافتهم وعاداتهم ليعلم يقينا الدافع الديني والعنصري لدى المتعصبين من المستشرقين.

ويشير العروي إلى أن عدداً ممن كتبوا في قصص تاريخية أخذوا بمرويات ضعيفة ولم تثبت لذلك سهل على المستشرقين انتقادها والطعن فيها، ويرى بأن: علينا قبل أن نحكم على انتقادات المستشرقين أن نرى إنجازاتهم في هذا الميدان إذ لا يتصور حكم منصف إلا بمقارنة نتائج الفريقين. والمقارنة تظهر بما لا يدع مجالاً للشك أن المستشرقين عندما يطبقون على وقائع الإسلام القواعد المستقرأة من دراسة التاريخ الغربي ينتهون برسم

(١) الأيديولوجيا العربية المعاصرة، ص ١٢١.

تاريخ عكسي أو سلمي، قابل بدوره لكل استغلال أيديولوجي"^(١)؛ لعدم وجود وثائق محيطة وكافية يحكم على الوقائع من خلالها فيقول: "إن التاريخ العربي الإسلامي لسوء الحظ هو قبل كل شيء مجموعة أخوا الوثائق المحايدة، الأصلية أو الأولية حسب اصطلاح كل فريق، قليلة، وحتى إذا وجدت فإنها لا تملك سوى قيمة تأشيرية تمكن الدارس من معرفة معقد المشكل دون أن تمده بوسائل الحل"^(٢).

وعلى هذا الأساس يفسر العروي كتابات المستشرقين عن التاريخ العربي والإسلامي، فقلة الوثائق قادمهم إلى إحدى حالتين: تخطيط برنامج بحثي لا يطبق أبداً، وإما إلى الإقرار بالعجز، ومن أمثلة الحالة الأولى "دراسة الظروف التي نشأ وانتشر الإسلام فيها، كما تصورها مونتغمري واط في كتابه محمد في مكة .. ماذا نجد؟ سلسلة من الافتراضات والتخيلات والاستنتاجات المنطقية التي تقودنا إلى خلاصة جذابة فعلاً ولكنها بادية التعسف"^(٣). نلاحظ أن العروي يطلق بعض العبارات التي دون أن يقوم بتفسيرها، خاصة في الحديث عن مستشرق مثل واط، ففي كتابه محمد في مكة، تحدث عن التاريخ الإسلامي، وفيه مغالطات كبيرة وإن حاول أن يكون منصفاً، ولا ينبغي لمؤرخ مسلم يتناول الكتاب دون الإشارة إلى ما فيه من مغالطات، فعلى سبيل المثال حديثه عن وزاج النبي -صلى الله عليه وسلم- من خديجة -رضي الله عنها- وإنجابها منها، وشكك واط في إمكانية إنجابها وهي بهذا العمر، مع أنها لم تبلغ الخمسين بعد، فيقول إذا كانت خديجة قد أنجبت ولداً في كل سنة: "فإنها تكون في الثامنة والأربعين من عمرها عند ولادة الأخير، ليس هذا مستحيلاً ولكنه غريب يثير التعليق، وهو من الأمور القابلة لأن تصبح فيما بعد معجزة"^(٤)، والأمثلة على المغالطات في كتاب واط كثيرة، وليس هذا

(١) الأيديولوجيا العربية المعاصرة، ص ١٢٢.

(٢) الأيديولوجيا العربية المعاصرة، ص ١٢٣.

(٣) الأيديولوجيا العربية المعاصرة، ص ١٢٣.

(٤) محمد-صلى الله عليه وسلم في مكة، ص ٩٩.

موطن استعراضها، وإنما أردت أن الاستدلال بمؤلفات هذا الرجل، والاكتفاء بعبارات موهمة فضفاضة لا يعرف من حق ولا باطل.

أما الحالة الثانية: وهي الاعتراف بالفشل، فضرب لها العروي مثلاً " فيما يكتبه تلاميذ أغناطس غولدزيهر عن معركة بدر بعد تمحيص المصادر، بعد العديد من المقاربات والتخرجات، ينتهي بهم الأمر إلى نفي الواقعة عملياً مع الحفاظ على الاسم فقط.

يوصلون الكلام عن المعركة مع أنهم يقررون أنهم يجهلون أين وقعت بالضبط، من شارك فيها، عدد القتلى أو الجرحى، بل حتى من خرج منها منتصراً. ولماذا لا يقولون صراحة أنها من نسج الخيال مما قد يؤدي إلى انكسار السيرة برمتها وضمونها الرسالة الحمدية؟ الواقع هو أن هذه النزعة إلى الشك والنفي هي النتيجة المنطقية لكل تحليل انتقادي لا يريح حيزه الضيق، لا يتخيل أي انفتاح على منهج آخر، وهو يصّر على دراسة موضوع لا يلائمه"^(١).

وينتقد العروي المستشرقين بجدة لأنهم يقضون على الفكرة الجامعة المؤلفة لأجزاء العمل المدرس، فهم يأخذون " الأخبار على ظاهرها كأكداس من المعارف المنتثرة، فيقومون على تحليلها وتكسيورها إلى عناصر بسيطة، هي الأخبار في المعنى التقليدي، تصف في ادعائهم مفردات الحوادث .. وينتهي طبعاً المستشرقون بانتهاجهم نفس الطريق إلى نتيجة واحدة محزنة، تلك التي عبر عنها غولدزيهر في دراساته عن الحديث، وبعده جوزيف شاخنت عن تاريخ الفقه الإسلامي. حكم الاثنان بعد تمحيص دقيق وشامل بانتحال كل ما روي من حديث وعدم صحة أي جزء منه"^(٢).

ويرى العروي أن أي عمل استشراقي لكي يضمن " تقدير وتأثير لا بد أن يحقق شرطين: الأول: أن ينحصر اهتمام الباحث في التحقيق والتدقيق، فيما أسميه بالاستطراف. في كل مجتمع يكتسي الاستطراف مغزى محددًا: كيف يوقف إنسان حياته لتحقيق حالة

(١) الأيديولوجيا العربية المعاصرة، ص ١٢٤.

(٢) الأيديولوجيا العربية المعاصرة، ص ١٢٦-١٢٧.

رجل ميت إن لم يكن هو نفسه قد طلق الدنيا ومن فيها؟ أما إذا كان لا يزال حاضراً في زمانه، تواقاً إلى مشاركة همومه فإنه يفقد في الحال مؤهلاته ليكون محققاً بالفعل ..

الشرط الثاني: أن يبقى في إطار الأدب ولا يترامى إلى مسائل العقيدة، إذ سيدخل - كما قلنا - مجالاً غير ملائم له. إن فعل تحول في الحين إلى ما كان في القرن ١٩م، إلى سلاح وظيفته تشكيك المسلمين في أنفسهم وماضيهم ومستقبلهم. يتحول بكيفية لا تكاد تضبط من منهج وصفي محاميد يشرح مادة هامدة إلى دعوة تهجمية نقدية تعطيلية عاجزة عن إحراز أية فائدة إيجابية"^(١).

ويقسم العروى الاستشراق إلى قسمين:

١. المدرسة الألمانية ثم الفرنسية والذي تميز بالتحقيق.
٢. المدرسة الأنجلوساكسونية والأمريكية والتي "تميل في الظاهر إلى مجرد الوصف، بلا زيادة ولا نقصان كما تدعي، رغم أنها لا تنفك تجادل العرب المحدثين في مسائل عقائدية وسياسة. وهي الصفة الغالبة على أعمال هاملتن جيب الذي يعتبره البعض بدون مبرر مجدد الدراسات الاستشراقية"^(٢).

ويناقد العروى -بلغة حادة- هذا السؤال الذي يطرحه بعض المستشرقين: لماذا يلزم العرب كل هذا الوقت لكي يتصالحوا مع العصر؟" وكان الأولى أن يطرحوا على أنفسهم السؤال التالي: كيف تمت نفس المصالحة في الغرب؟ كم من حروب وثورات من حالات انتحار وفشل وضياح، قبل أن يصل الغرب إلى ما ينعم به اليوم من توازن وتكافؤ؟. أين العدل والمنطق في كلامهم هذا؟ يفرك جيب وتلاميذه أعينهم: ما هؤلاء العرب لا يستقرون على حال؟ لو طبق منطقهم المبتسر على الغرب لما احتفظ أي من عظمائه وعباقرته بما ينسب لهم من حكمة وتبصر. منح لكل من بلزك، وغوته، وبوشكين مهلة وأي مهلة لكي يسترجع نفسه في عالم استحال إلى غيره. أما العرب فيطلب منهم بحزم

(١) الأيديولوجيا العربية المعاصرة، ص ١٤٦-١٤٧.

(٢) الأيديولوجيا العربية المعاصرة، ص ١٤٧.

وإلحاق أن يستعيدوا في غضون عقود معدودات توازنهم واستقرارهم. لم يكن في مقدور جيب وأمثاله أن ينصفوا التجربة العربية دون التحرر من ليبراليتهم الضيقة، وهذا ما لم يكن في وسعهم بكل أسف^(١).

المطلب الثاني: رأيه في الاستشراق من خلال كتابه العرب والفكر التاريخي: تحدث عبدالله العروي بوضوح عن موقفه من الاستشراق عندما ناقش أفكار المستشرق فون غروناوم، وقال: "قد يتساءل الكثيرون هل من مصلحة المسلمين أن يتخذوا من نقد أعمال المستشرقين منطلقاً للتكفير في شؤونهم. الواقع أن النتائج السلبية لهذا النقد كثيرة. إن مجهودات ذهنية جبارة تذهب سجي لأن النقد في غالب الأحيان لا يتعدى المستوى الأيديولوجي السطحي. والاستشراق ليس تطبيق العلم الغربي على مجتمعات الشرق بل نلاحظ فيه ضيقاً في الأفق يرجع إلى أسباب شتى: منها تكوين المستشرقين أنفسهم، وانتماءهم الاجتماعي، والأهداف المحددة لتخصصهم .. وهذه الوضعية تحد من قدرتهم على إبداع طرائق منهجية جديدة في مجاهم الخاص. فالمسلمون عندما يتصدون لانتقاد أعمالهم لا يتجهون إلى تعرية أصولها المنهجية لقبولها بشروط أو رفضها أو تحويرها، وإنما يكتفون بانتقاء تحليلات وأحكام وأوصاف على حرفيتها، ويربطونها مباشرة بالنزاع السياسي القائم أو بالصراع الديني الذي دام قرناً^(٢)، فهو يفرق بين العلم الغربي وبين نشاط المستشرقين، ويدعو المسلمين إلى عدم ربط تقديمهم بالاستشراق بالنزاع السياسي والديني، ويظهر هنا شيء من الخلط في الاستفادة مما عند الغرب من علوم نافعه، وبين نقد الاستشراق، فالاستشراق بدوافعه ووسائله وإنتاجاته لا يمكن الرد عليها إلا من خلال الرد على المسائل التي طرحها والشبهات التي نشرها، وهنا يأتي دور المسلمين في بيان الأدلة على هذه الافتراءات والشبهات، أما ما يطلبه العروي في هذا

(١) الأيديولوجيا العربية المعاصرة، ص ١٤٩.

(٢) العرب والفكر التاريخي، ص ١١٧.

الباب لا يمكن تطبيقه واقعا، وإلا انتشرت الشبهات وأثر في معتقدات المسلمين وصرف غير المسلمين عن الإسلام.

وجه العروي عدة انتقادات لفون غرونباوم، ومن منهجيته النقاش العقلي لكل مسألة انتقدها على غرونباوم، فعلى سبيل المثال: ذكر أن غرونباوم أهمل العلوم الإسلامية، وقّلت من قيمة العلوم الإسلامية وحتى من أهمية نتائج البحوث في شأنها، باعتبار أن أساس هذا العلم هو غير أساس العلم الحديث وإن توافق العلماء ظاهرياً في عرض منجزاتهما، فالعلوم الإسلامية—عند غرونباوم— "لم تكن طرائق لاكتشاف حقائق جديدة، وإنما كانت تعني التمتع بكيفية فردية بأسرار منزلة منذ القدم ومودعة عند بعض البشر للمحافظة عليها.. البحث في هذا الإطار ليس لاكتشاف غير المعروف وإنما لتقرير ما هو معروف لدى الأوئل، مثل هذا العلم يحافظ ولا يجدد.." (١).

ورد العروي على موقف غرونباوم من العلوم الإسلامية والعلماء المسلمين من خلال النظر إلى العلم في أوروبا حتى أواخر القرن السابع عشر كان—أيضاً—يقوم على نظرية معرفية مخالفة للنظرية الحديثة، وبعض علمائهم كانوا يعتقدون في الآثار العلوية والتنجيم والسحر وأسرار الكون، وأشار إلى أن هناك استقلال نسبي لعلماء المسلمين، وأن بعضهم لا يشارك الفقهاء والنسك نظريتهم في الحقيقة (٢).

نرى بوضوح أن الأساس الذي يقف عليه العروي هو النقاش العقلي، وأن الخلفية التي ينطلق منها تختلف تماماً عن المنطلق الشرعي، فهو وإن كان يحمده له الرد عليه في بعض الجوانب، فإننا نأخذ عليه اللغة الانهزامية والتوفيقية المعرقة في التنظير.

ومن ملاحظاته على غرونباوم أنه "يرهن على تركيب نمط الإسلام الأصلي بكيفية انتقائية مفرطة—يختار من الأمثلة الأشخاص، والحوادث، والمواقف، والأقوال، والأحكام، والأحاديث، والأحكام الفقهية— بدون نسق ثابت ومفصولة عن أزمتها وملابسها

(١) العرب والفكر التاريخي، ص ١٣٣.

(٢) العرب والفكر التاريخي، ص ١٣٤.

وممهداتها. كل هذا يدل على ثقافة واسعة لكن لا يعين على اقناع القارئ، وإذا لم يقتنع القارئ بالتحري في تخطيط النمط الأصلي وفرز المقصد، يصبح العمل كله بمثابة قراءة شخصية لا توجب المناقشة الدقيقة"^(١).

إن المجهود الذي قدّمه العروي في هذا الكتاب يُقدَّر له، ونقاش صريح لأحد المستشرقين وانتقاد ظاهر، على خلاف منهجه في الكتاب الأيديولوجيا العربية المعاصرة الذي ناقشناه سابقاً.

(١) العرب والفكر التاريخي، ص ١٣٤-١٣٥.

الخاتمة:

وفيها أشير إلى أهم الفروقات المنهجية الجوهرية بين الدكتور محمد البهي، والدكتور عبدالله العروي في نقد الاستشراق، وهي ما يلي:

١. ينطلق محمد البهي من منطلق ديني في نقاشه للاستشراق، بينما عبدالله العروي يناقشه من زاوية مختلفة حاول فيها أن يكون مراقباً وحاكماً على المستشرقين ومنتقديهم، وكان لتوجهه الماركسي أثر كبير في نقده للاستشراق.
٢. يرى البهي أن الدافع الديني والاستعماري للاستشراق من أهم الدوافع المؤثرة في هذا الميدان، بينما يرى العروي أن المشكلة تكمن في المتعصبين من المستشرقين، والمتشددين من العرب، بل إنه يدعو إلى تبني قيم الحضارة الغربية باعتبارها قيم إنسانية، وهذه الروح انهماجية أمام زخم الحضارة الغربية.
٣. الروح الباعثة لنقد محمد البهي للاستشراق روح المسلم الذي تتعرض مسلماته الشرعية للخطر، وتتعرض أرضه للاستعمار، واقتصاده للنهب؛ لذلك روح الانتماء للدين والدفاع عنه حاضرة في نقده للاستشراق، بينما نجد هذه الروح غائبة عند العروي، بل أن روح الإعجاب بالحضارة الغربية وقيمها وما وصلت إليه، وأنه لا سبيل لتطور العرب إلا بالقطيعة المعرفية مع التراث.
٤. يرى العروي أن الاستفزاز من الغرب للشيخ، جعل الأخير يأخذ موقف الدفاع وإعلان القطيعة من الغرب، مما جعله يخطئ في رأيه في المستشرقين، أما البهي فيرى أن الموقف من الغرب لم يكن سببه الأساس هو الاستفزاز بل البعد التاريخي والديني والسياسي والاقتصادي، فرؤية البهي للاستشراق أشمل وأعم من رؤية العروي له.
٥. يقرر العروي أن نقد المستشرقين للعرب وتاريخهم كان نقداً علمياً مع استحقاق العرب لهذا النقد لتخلفهم في العلوم التاريخية، بينما يرى البهي أن التعصب هو ديدن المستشرقين ولم يكن نقدهم موضوعياً بل كان تحفه مصالحهم ومصالح ديانتهم ودولهم.

المراجع:

١. أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها: التبشير-الاستشراق-الاستعمار: دراسة وتحليل وتوجيه، عبدالرحمن حسن حبنكة، دمشق: دار القلم، ط ٨، ١٤٢٠هـ.
٢. الاستشراق، إدوارد سعيد، ترجمة: محمد عناني، القاهرة: دار رؤية، ط ١، ٢٠٠٦م.
٣. الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، محمد حمدي زقزوق، القاهرة: مكتبة الشروق الدولية، ط ١، ٢٠٠٨م.
٤. الاستشراق والمستشرقون ما لهم وما عليهم، مصطفى السباعي، بيروت: دار الوراق للنشر والتوزيع.
٥. الأيديولوجيا العربية المعاصرة، عبدالله العروي، المركز الثقافي العربي، بيروت: ط ٢، ١٩٩٩م.
٦. التبشير والاستشراق والدعوات الهدامة، أنور الجندي، القاهرة: دار الأنصار.
٧. العرب والفكر التاريخي، عبدالله العروي، المركز الثقافي العربي، بيروت: ط ٤، ١٩٩٨م.
٨. الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي، محمد البهي، القاهرة: مكتبة وهبة، ط ٤، ١٩٦٤م.
٩. محمد صلى الله عليه وآله وسلم في مكة، ويليام مونتنجيري واط، ترجمة: الدكتور عبد الرحمن عبد الله الشيخ، راجعه وعلق عليه: د. أحمد الشلبي، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٤١٥.
١٠. المستبشرون والمستشرقون في موقفهم من الإسلام، محمد البهي، القاهرة: مطبعة الأزهر.

